مدار الوطن
٤٠٢

خطورة الاستهزاء بالدين وأهله

إعداد
القسم العلمي بمدار الوطن

مركز خدمة المتبرعين بالكتاب
الرياض - ص . ب ٣٣١٠ - هاتف ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس ٤٧٢٣٩٤١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبيَّ بعده، نبينا محمد، عليه أفضل الصلاة والتسليم، أما بعد..

فإن دين المسلم هو أغلى ما يملك في هذه الحياة، فهو أغلى على المرء من نفسه وماله وأهله، والناس أجمعين، إذ به نجاته من النار، وفوزه بالجنة مع الأبرار. قال النبيّ ﷺ: «**لا تشرك بالله شيئاً وإن قُطّعت وحُرّقت...**» [رواه البيهقي وصحّحه الألباني].

فهذا الدين هو الذي من أجله قامت السمٰوات والأرض، وخُلِقَت الخليقة، وبُعِثَ الرُّسل، وأُنْزِلَت الكُتُب، وسُلَّت سيوف أهل الإيمان على أهل الشرك، وحدثت الخصومة بين الرسل وأقوامهم، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

ومن هنا كان الاستهزاء بالله تعالى أو بالإسلام، أو بالنبيّ ﷺ، كفراً وضلالاً وانخلاعاً من الإسلام بالكلية.

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «لا ريب أن الاستهزاء بالله ورسوله وبآياته وبشرعه وأحكامه من جملة أنواع الكفر؛ لقول الله عز وجلّ: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]،

ويدخل في ذلك: الاستهزاء بالتوحيد، أو بالصلاة، أو بالزكاة، أو الصيام، أو الحجّ، وغير ذلك من أحكام الدين المتفق عليها» [حوار من القلب مع سماحة الشيخ ص٢٣١].

وقال سماحة الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن هذا العمل وهو الاستهزاء بالله، أو رسوله ﷺ، أو بكتابه، أو دينه ولو كان على سبيل المزح وإضحاك القوم، نقول: إن هذا كفر ونفاق، وهو نفس الذي وقع في عهد النبي ﷺ في الذين قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أَرْغَبَ بطوناً، ولا أَكْذبَ ألسُناً، ولا أجبن عند اللقاء؛ يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء، فنزلت فيهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥]؛ لأنهم جاءوا إلى النبيّ ﷺ يقولون: إنما كنا نتحدث حديث الركب، نقطع به عناء الطريق، فكان رسول الله ﷺ يقول لهم ما أمر الله به: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾.

فجانب الربوبية والوحي والدين جانب محترم، لا يجوز لأحدٍ أن يعبث به، لا باستهزاء، ولا بإضحاك، ولا بسخرية، فإن فعل ذلك، فإنه كافر؛ لأنه يدلُّ على استهانته بالله عز وجل ورسله وكتبه وشرعه، وعلى من فعل هذا أن يتوب إلى الله عز وجلّ مما صنع؛ لأن هذا من النفاق، فعليه أن

يتوب إلى الله ويستغفر ويصلح عمله، ويجعل في قلبه خشية الله عز وجل وتعظيمه وخوفه ومحبته، والله ولي التوفيق» [فتاوى علماء البلد الحرام، ص٢٤٩].

الاستهزاء بأهل الدين

أما الاستهزاء والسخرية بأهل الدين والتمسك بالسنة، فقد قال سماحة الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «هؤلاء الذين يسخرون بالملتزمين بدين الله، المنفذين لأوامر الله، فيهم نوع نفاق؛ لأن الله تعالى قال عن المنافقين: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩﴾ [التوبة: ٧٩].

ثم إن كانوا يستهزئون بهم من أجل ما هم عليه من الشرع، فإن استهزاءهم بهم استهزاء بالشريعة، والاستهزاء بالشريعة كفر.

أما إن كانوا يستهزئون بهم، يعنون أشخاصهم وزيّهم بقطع النظر عما هم عليه من اتباع السنة، فإنهم لا يكفرون بذلك، لكنهم على خطر عظيم» [المجموع الثمين ١/ ٧٥].

طوائف من المستهزئين

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بعض طوائف المستهزئين بالدين فكان منهم:

١ـ أعداء التوحيد

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والضالون مُستخِفُّون بتوحيد الله تعالى، يعظمون دعاء غيره من الأموات، وإذا أُمروا بالتوحيد ونُهوا عن الشرك استخفوا به، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ [الفرقان: ٤١]، فاستهزأوا بالرسول ﷺ لمَّا نهاهم عن الشرك. ومازال المشركون يسبون الأنبياء، ويصفونهم بالسفاهة والضلال والجنون، إذا دعوهم إلى التوحيد، لما في أنفسهم من عظيم الشرك.

وهكذا تجد من فيه شَبَه منهم إذا رأى من يدعو إلى التوحيد استهزأ بذلك لما عنده من الشرك.

٢ـ عبّاد القبور

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهؤلاء الذين اتخذوا القبور أوثاناً، تجدهم يستهزئون بما هو من توحيد الله وعبادته، ويعظمون ما اتخذوه من دون الله شفعاء، ويحلف أحدهم اليمين الغموس كاذباً، ولا يجترئ أن يحلف بشيخه كاذباً.

وكثير من طوائف متعددة ترى أحدهم يرى أن استغاثته بالشيخ إما عند قبره، أو غير قبره أنفع له من أن يدعو الله عند المسجد في السحر، ويستهزئ بمن يعدلُ عن طريقته إلى التوحيد.

وكثير منهم يخرّبون المساجد، ويعمّرون

المشاهد، فهل هذا إلا من استخفافهم بالله وبآياته ورسوله ﷺ وتعظيمهم للشرك؟...

وهؤلاء إذا قصد أحدهم القبر الذي يعظمه يبكي عنده ويخشع ويتضرع ما لا يحصل له مثله في الجمعة والصلوات الخمس وقيام الليل، فهل هذا إلا من حال المشركين لا الموحدين.

ومثل هذا أنه إذا سمع أحدهم الأبيات حصل له من الخشوع والحضور ما لا يحصل له عند الآيات، بل يستثقلونها ويستهزئون بها، وبمن يقرؤها، مما يحصل لهم به أعظم نصيب من قوله: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾» [مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٥/٤٨-٥٠].

فاتق الله أيها المسلم الموحّد، واحذر الاستهزاء بالدين وأهله، سواء كنت جادًّا أم مازحاً، وضع نصب عينيك حديث الرسول ﷺ: «... **وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة**» [رواه أحمد والترمذي وصحّحه الألباني].

نسأل الله أن يبصرنا في ديننا، ويقينا شر الفتن ما ظهر منها وما بطن، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

* * *